الألفاظ الشاذة في اللغة والنحو دراسة وتبويب

إعداد
دكتور
أحمد عبد التواب الفيومي
الأستاذ المساعد
بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر ـ القاهرة

لغويو العرب القدامى « جعلوا ما استمر من الكلام فى الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردا وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذا »(١) وذكروا أن « هذه الأشياء الشاذة إنما خرجت كالتنبيه على أصول ما غير »(٢) وأن « هذه الأشياء الشاذة فيها حجج للنحويين فى أن أ يقولوا : أن أصل هذا كذا وأن أصل هذا كذا »(٣) .

ومن الثابت « أن الشيء اذا إطرد فى الاستعمال وشذ فى القياس فلابد من اتباع السمع الوارد فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره الا ترى أنك إذا سمعت « استحوذ » و « استصوب » اديتهما بحالهما ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما الى غيرهما »(٤) وان كان ذلك الذى قد جاء خارجا من القياس قد يمكن أن يكون قد وقع الى العربى الذى نطق به من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبدت معالمها(٥) وان يكون شيئا أخذه فمن ينطق بلغة قديمة ولم يشارك فى سماع ذلك منه (٦) وهذه الصيغ وتلك المواد ذات نمط ونظام معين أو خاص عليه رصده فى النقاط التالية :

ـ إبقاء الواو والياء الواقعة بين فتحتين على حالها ، وعدم إعلالها .

---

(١) الخصائص ٩٧/١
(٢) المنصف ١٩١/١
(٣) المنصف ٦٩/٢
(٤) الخصائص ٩٩/١
(٥) الخصائص ٣٨٦/١ بتصرف
(٦) الخصائص ٢٤/٢

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب فقالوا « القود والحوكة والصيد والخونة والغيب (٧) .

ومسلك العربية هنا يتمثل فى اتحاد الفتحتين فى فتحة واحدة ممدودة بعد حذف الواو والياء لوقوع كل منهما بين فتحتين (٨) . إبقاء الواو والياء المتحركة بعد حرف ساكن كما هى دون إعلال .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب نحكى عنهم « أخوص الرمث ، واستصوبت الأمر ، واستحوذ » ، واغيلت المرأة ، واستنوق الجمل ، واستتيست الشاة ، واستفيل الجمل(٩) وأجود وأطيب(١٠) وأطولت الصدود ، وأحوجت زيدا إلى كذا(١١) .

وقالوا : إن الفكاهة مقودة إلى الأذى وقالوا : كثرة الشراب مبولة ، وكثرة الأكل منومه ، وهذا شىء مطيبة للنفس ، وهذا طريق مهيع (١٢) .

وعلى هذا جاء قوله تعالى : « استحوذ عليهم الشيطان »(١٣) وقراءة بعضهم « لمثوبة من عند الله خير »(١٤) .

---

(٧) راجع الخصائص ١٢٣/١ ، ١٤٨ ، ٣٤٩/٢ ، ٥٢/٣
(٨) انظر فقه اللغات السامية ص ٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩
(٩) راجع المنصف ١٩٠/١ - ١٩١ ، ٢٢٧ ، ٢٧٨ والخصائص ٩٨/١ - ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٤٣
(١٠) انظر المنصف ٢٧٧/١
(١١) انظر المرجع السابق ١٩١/١ ، ٦٩/٢
(١٢) راجع الخصائص ٣٢٩/١
(١٣) سورة المجادلة آية ١٩
(١٤) سورة البقرة آية ١٠٣

وعلى هذا جاء قول عمر بن أبى ربيعة :

صددت فأطيلت الصدود وقلما
وصال على طول الصدود يدوم (١٥)

وقول زهير :

هنالك إن يستخولوا المال يخولوا
وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا (١٦)

وقول أبى النجم فى أرجوزته :

يدير عينى مصعب مستقيل (١٧)

والعربية اتجهت فى هذا الموضع إلى حذف الواو والياء مع التعويض عنهما بإطالة حركتيهما ، لوقوع كل منهما بعد حرف ساكن (١٨) .

- المجىء باسم المفعول من الثلاثى المعتل العين على أصله دون إعلال .

وقد بقيت هذه الخاصة فى لسان بنى تميم فحكى عنهم قولهم « مخيوط ومكيول » وقال بعضهم ثوب مضوون ، وفرس مقوود ، ورجل معوود من مرضه (١٩) .

وعلى هذا جاء قول علقمة بن عبدة فى وصف الظليم :

---

(١٥) الكتاب ٣١/١ ، ١١٥/٣ والخصائص ١٤٣/١
(١٦) الخصائص ٩٨/١
(١٧) انظر الخصائص ٩٨/١
(١٨) انظر فقه اللغات السامية ص ٤٢ .
(١٩) راجع الخصائص ٩٨/١ - ٩٩ ، ٢٦٠ - ٢٦١ والمنصف ٢٧٨/١

حتى تذكـــر بيضـــــان وهيجـــــــه

يـوم رذاذ عليـه الدجـــن مغيـــوم(٢٠)

وقـول الشـاعر :

« وكانهـــا تفاحـــة مطيـــــوبة »(٢١)

وقـوله :

« والمســـك فى عنبر مـــدووف »(٢٢)

ـ اجتمـاع همـزتين فى باب فعائل .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العـرب فلقـد حكى عنهـم « غفر الله لـه خطائئه ودريئة ودرائىء ، ولفيئة ولفائىء(٢٣) .

ـ تصحيح الهمزتين فى باب فاعل .

وبقيت هذه فى السنة بعض العرب وعليها جـاء قول الشاعر :

فإنك لا تـدرى متى المـــوت جـــائىء

إليـك ولا ما يحـدث الله فى غـــد(٢٤)

ـ إبقـاء همزة « أفعـل » وعـدم حذفها فى المضـارع .

وقد بقيت هذه فى السنة بعض العرب ، وعليها جاء قول الراجز :

« فإنه أهـل لأن يؤكـــرما »(٢٥) .

واللغة العربيـة اتجهت فى هذا الموضـع إلى المخالفـة الصـوتية عن طريق حذف همزة « أفعـل » عند دخـول همزة المضـارعة عليهـا .

(٢٠، ٢١، ٢٢) الخصـائص ١/٢٦١

(٢٣) راجع الخصائص ٢/٦ ، ٣/١٤٣ والمنصف ٢/١٠٧

(٢٤) الخصـائص ١/١٤٣

(٢٥) المرجـع السـابق ١/١٤٤

ثم حذفتها مع باقى أحرف المضارعة قياسا على حذفها مع الهمزة ، وطردا للباب على وتيرة واحدة .

- إبقاء المد الطويل وعدم تقصيره مع مجيء حرف ساكن بعده متى عرض التحريك لهذا الساكن .

فالأجوف المجزوم تبقى فيه الحركة الطويلة كما هى ، فيجرى فى حالة الجزم مجراه فى حالتى الرفع والنصب .

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول الشاعر :

يا حبب قد أمسينا ولم تنام العينا (٢٦)

وقول رؤبة :

ما كان إلا طلق الاهماد
وكرنا بالأغرب الجياد
حتى تحاجزن عن الذواد
تحاجر الرى ولم تكادى (٢٧)

وقول عمرو بن أحمر الباهلى :

تسائل بابن أحمر من رآه
أعارت عينه أم لم تعارا (٢٨)

قول الشاعر :

ويها فداء لك يا قضاله
اجره الرمح ولا تهاله (٢٩)

---

(٢٦) ضرائر الشعر ، لابن عصفور ص ٤٨ ، ١٠٨
(٢٧) المرجع السابق
(٢٨) ضرائر الشعر ص ٤٧
(٢٩) ضرائر الشعر ص ٤٧

وقـول الفـرزدق :

ومـن يميـــل أمـــال السـيف ذروتـه

حيث التقى من حفـا فى رأسـه الشعر (٣٠)

فهذا يشـير إلى نطـق بعض العرب بالمضـارع الأجـوف على أصله أى بـواو وبيـاء متحـركة ومسـبوقة بحـرف سـاكن وأنه كانت تتوارد على آخـره ضمة الرفـع ، وفتحـة النصـب فضـلا عن تشـكيله بـما يسـمى السـكون كما هـو ماثل فيمـا حكى عن العـرب من قولهـم : يسـتحوذ ويستصوب ويستفيل ويسـتنوق وقوله عـز وجـل « قالوا ألـم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين »(٣١) .

وقـول زهـير :

هنالك إن يسـتخولوا المـال يخـــولوا

وإن يسـألوا يعطـوا وإن يسروا يغلو (٣٢)

وتحولت هذه الواو والياء إلى المـد الطويل عن طريق حذفهمـا مع التعويض عنهما بإطالة حركتيهما ، وقد أبقت تلك الشـواهد على هذا المـد الطويل مع مجىء حرف سـاكن بعده متى عرض التحـريك لهـذا السـاكن .

ولكن العربية اتجهت إلى تقصير المـد الطويل إذا جـاء بعده حرف سـاكن سـواء أعرض التحـريك لهـذا السـاكن أم بقى على حاله من السـكون إلا إذا كان السـكون عارضـا للوقف أو كان أول السـاكنين

---

(٣٠) الكتاب ٧٠/٣ وشرح أبيـات سيبويه ص ٣٠٥

(٣١) سورة النساء آية ١٤١

(٣٢) الخصـائص ٩٨/١

مدغما فى مثله من كلمته(٣٣) فإن المد الطويل يبقى كما هو دون أن يتحول إلى حركة قصيرة ومرد ذلك إلى أن التقصير فى هذين الحالتين يترتب عليه الإخلال بصيغة الكلمة أو التباس صيغتها بصيغة أخرى .

- النطق بلام الفعل المسمى الناقص على أصلها بالواو وبالياء وتوارد الحركات الإعرابية عليهما .

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب فحكى عنهم قولهم هو يأتيك ويدعوك بضم الياء والواو كما يقال هو يضربك بضم الياء٣٤) .

بعد ذلك تحولت هذه الواو والياء إلى المد الطويل رفعا ونصبا وجزما أما فى الرفع والنصب فقد جاء هذا المد الطويل عن طريق اتحاد الحركات بعد حذف الواو والياء ، وأما فى الجزم فجاء عن طريق حذف الواو والياء وإطالة الحركة قبلهما عوضا عنهما ، وجريا للباب على وتيرة واحدة .

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول الأخطل :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها

رفعن وأنزلن القطين المولدا(٣٥)

وقول الشاعر :

---

(٣٣) انظر دروس فى علم أصوات العربية ص ١٥٢ ، ١٩٣

(٣٤) انظر شرح أبيات سيبويه ، لأبى جعفر النحاس ص ٥١

(٣٥) الخصائص ٣٤٢/٢ وضرائر الشعر ص ٩٠

فما سودتنى عامر عن وراثة

أبى الله أن أسمو بسام ولا أب (٣٦)

وقول الآخر :

وإن يعرين إن كسى الجوارى

فتنبو العين عن كرم عجاف (٣٧)

فقال : « أن تلهو » و « أن أسمو » و « فتنبو » بالمد الطويل وهو فى حالة نصب .

ومما جاء بالمد الطويل وهو فى حالة جزم قول قيس بن زهير العبسى :

ألم يأتيك والأنباء تنمى

بما لاقت لبون بنى زياد (٣٨)

وقول أبى عمرو بن العلاء :

هجوت زبان ثم جئت معتذرا

من هجو زبان لم تهجو ولم تدع (٣٩)

وقول عبد يغوث القحطانى :

وتضحك من شيخة عبشمية

كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا (٤٠)

وقول الشاعر :

---

(٣٦) الخصائص ٣٤٢/٢ وضرائر الشعر ص ٩٠

(٣٧) انظر الخصائص ١٩٢/٢ ، ٣٤٢ وضرائر الشعر ص ٩٠

(٣٨) انظر الكتاب ٣١٦/٣ ضرائر الشعر ص ٤٥ ، ٦٣ وراجع الخصائص ٣٣٣/١ ، ٣٣٦ وشرح أبيات سيبويه ص ٥١

(٣٩) شرح أبيات سيبويه ص ٥١ وضرائر الشعر ص ٤٥

(٤٠) ضرائر الشعر ص ٤٧

وقـول الشـاعر :

أبـا خالـد فاكفـوهما حلتيهمـــــا

فإنكمـــا إن تفعـــلا فتيـــان(٤١)

وقـول رؤبـة :

إذ العجـــوز غضـبت فطـــــلق

ولا ترضـــــاها ولا تملـــــق(٤٢)

وقـول الراجـز :

قال لهـا من تحتهـــا وما اســـــتوى

هزى إليك الجذع يجنيـك الجنا(٤٣)

واللغـة العربية اتجهت فى هذا الموضـع إلى اتحـاد الحركتين فى حـركة واحـدة ممدودة بعد حذف الواو والياء وذلك فى حـالة الرفع .

وفى حالة الجـزم قصرت هذا المـد الطويل الحـادث عند اتحـاد الحـركات ، فصـار مدا قصيرا ضمة وفتحة وكسرة عادية .

أما فى حالة النصب فقد أبقت على الواو والياء كمـا هما بـدون حـذف ، وحركت كلا منهمـا بفتحـة النصب .

- إثبات اليـاء فى الاسـم المسـمى المنقوص وتحريكها بالضـمة فى حالة الرفع وبالفتحة فى حالة النصب وبالكسرة فى حالة الجـر .

وقد بقيت هذه الخاصة فى السـنة بعض العرب فجاء عنهم قولهم :

---

(٤١) السـابق ص ٤٥

(٤٢) المرجع السابق ص ٤٦ وانظر الخصائص ٣٠٧/١

(٤٣) ضرائر الشـعر ص ٤٥

هن الجـوارى ، ورأيت الجوارى ومررت بالجـوارى بضم اليـاء وفتحها وكسرها(٤٤) .

وعلى هذا جـاء قول الهـذلى :

تـراه وقـد فـات الرمـــاة كأنـــه

أمـام الكلاب مصغى الخـد أصلم(٤٥)

فقال : مصغى بياء محركة بالضمة .

وقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

لا بـارك الله فى الغـــوانى مـــا

يصـــبحن إلا لهـــن مطلب(٤٦)

وقـول جـرير :

فيـوما يجـــازين الهـــوى غير ماضى

ويومـا تـرى منهن غولا تغـول(٤٧)

وقـول الكميت :

خـــريع دوادى فى ملعـــــب

تـازر طـــورا وترخـى الإزارا(٤٨)

وقـول الشـاعر :

مـا إن رأيـت ولا أرى فى مـــدتى

كجـــوارى يلعبن فى الصحراء(٤٩)

---

(٤٤) راجع شرح أبيات سيبويه ص ٥٠

(٤٥) شرح أبيات سيبويه ص ٥٥

(٤٦) الكتاب ٣١٤/٣ وشرح أبيات سيبويه ص ٥٠ والخصائص ٣٤٧/٢

(٤٧) الكتاب ٣١٤/٣ وضرائر الشعر ص ٤٢

(٤٨) الكتاب ٣١٦/٣ والخصائص ٣٣٤/١ وضرائر الشعر ص ٤٢

(٤٩) ضرائر الشعر ص ٤٤

وقـول الفـرزدق :

ولـو كان عبـد الله مـولى هجـــوته

ولـكن عبـد الله مـولى مواليـــا (٥٠)

وقول المنتخل الهذلى :

أبيـت عـلى محـــارى فاخـــرات

بهـــن ملـوب كـــدم العبـــاط (٥١)

فقال : « فى الغوانى » و « غير ماضين » و « كجـوارين » بيـاء محـركة بالكسرة و « دوادى » و « مواليـا » بيـاء محركة بالفتحة علامة للجر لكونه مما لا ينصرف .

وهذا يقود إلى القول : أن المنقوص فى أولى مراحل العربية كانت ياؤه تحـرك بالضمة فى حالة الرفع وبالكسرة فى حالة الجـر وبالفتحة فى حـالة النصب .

وتبع ذلك تطور المنقوص تطـورا آخر عبر عنه النحـاة بقولهم : أن بعض العرب يسكنون ياء المنقوص مطلقا أى رفعا ونصبا وجرا (٥٢) .

وهذا الاتجـاه تم فى مرحـلة متأخرة عن الأول ، إذ هو تطـور عنـه ويتمثل فى تحـويل الياء إلى صـد طويل فى حـالة الرفع والنصب والجـر فيقال : جـاء القاضى ، ورأيـت القاضى ، ومررت بالقـاضى ، وهذا قاض ورأيت قاض ومررت بقاض .

---

(٥٠) راجع الكتاب ٣١٥/٣ شرح أبيـات سيبويه ص ٥٠ وضرائر الشعر ص ٤٢ وشرح المفصل ٦٤/١

(٥١) الكتاب ٣١٣/٣ والخصـائص ٣٣٤/١ وضرائر الشعر ص ٤٣

(٥٢) راجع شرح أبيـات سـيبويه ص ٥٢

وذلك عن طريق قلب الفتحة التى تحرك بها الياء فى حالة النصب كسرة ، وقلب الضمة التى تحرك بها فى حالة الرفع كسرة أيضا اتباعا لكسرة ما قبلها ، وحذف الياء لوقوعها بين كسرتين ، واتحاد الكسرتين فى كسرة واحدة ممدودة ، وهذه الكسرة الممدودة تبقى كذا هى إذا لم يجىء بعدها ساكن ، وتتحول إلى كسرة قصيرة إذا جاء بعدها ساكن .

وعلى هذا جاء قول رؤبة :

كأن أيديهن بالقاع القرف

أيدى جوار يتلقطن الورق (٥٣)

وقول طرفه :

إن القوافى يتلجن موالجا

تضايق عنها أن تولجها الإبر (٥٤)

وقول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه

يطيع العوالى ركبت كل لهذم (٥٥)

وقول رؤبة :

سوى مساحيهن تقطيط الحقق

تغليل ماقاد عن من سمر الطرق (٥٦)

---

(٥٣) انظر شرح أبيات سيبويه ص ٥٢ ، ٣٣٥ وضرائر الشعر ص ٩٢

(٥٤) الخصائص ١٤/١ وضرائر الشعر ص ٩١

(٥٥) شرح أبيات سيبويه ص ٥٣

(٥٦) الكتاب ٣٠٦/٣ وشرح أبيات سيبويه ص ٣٣٤

وقـول الحطيئة :

يا دار هنـــد عفـت إلا أثافيهـــــــا

بـين الصوى فصارات فواديهـــا(٥٧)

وقـول النابغـة :

ردت عليـــه أقاصـــيه ولبـــــــده

ضرب الوليده بالمســحاة فى الثاد(٥٨)

وقـول بشر بن أبى خـازم :

كفـــى بالنـــأى من اســـماء كافـى

وليس لحبهـا إذ طـــال شـافى(٥٩)

وقـول الشـاعر :

فتى لو ينـادى الشمس ألقت قناعهـــا

أو القمـر الســارى لألقى المقالدا(٦٠)

فقال : « كان أيديهن » و « إن القوافى » و « يطيـع العوالى » و « ســوى مســاحيهن » و « عفـت إلا اثافيهـا » و « أقاصـــيه » و « كافى » و « شـــافى » و « ينـادى .. القمـر الســارى » بالكسرة الممـدودة وهو فى حـال نصب .

---

(٥٧) الكتاب ٣٠٦/٣ وشرح أبيات سيبويه ص ٣٣٥ والخصائص ٣٤١/٢ وضرائر الشعر ص ٩٢

(٥٨) ضرائر الشعر ص ٩٢

(٥٩) شرح أبيـات سـيبويه ص ٣٥٦

(٦٠) ضرائر الشـعر ص ٩٢

ومما قصرت فيه هذه الكسرة الممدودة ، لمجيء ساكن بعدها قول مجنون ليلى :

فلو أن واش باليمامة داره

ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا(٦١)

وقول محمد بن بشير البصرى :

ومن يطيق مذك عند صبوته

ومن يقوم لستور إذا خلعا(٦٢)

وقول الشاعر :

وكسوت عار لحمه فتركته

جذلان يسحب ذيله ورداءه(٦٣)

فقال « واش » و « مذك » و « عاد » بتقصير الكسرة الممدودة لمجيء التنوين بعدها وهو ساكن .

وجاء تقصير هذه الكسرة الممدودة التى فى آخر المنقوص وهى غير متبوعة بساكن من تنوين وغيره وعلى هذا جاءت قراءة قوله عز وجل « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا »(٦٤) .

وعليه جاء قول الأعشى :

وأخو الغوان متى يشأ يصر منه

ويعدن أعداء بعيد وداد(٦٥)

---

(٦١) راجع شرح أبيات سيبويه ص ٥٢ وضرائر الشعر ص ٩٣

(٦٢،٦٣) ضرائر الشعر ص ٩٣

(٦٤) سورة الكهف آية ١٧

(٦٥) ضرائر الشعر ص ١٢٠

وقـول خفـاف بن عمير :

كنـــواح ريش حمـــامة نجـــدية

ومسـحت باللثتين عصف الاثمـد(٦٦)

وقـول مضرس الاسـدى :

وطـرت بمنصـلى فى يعمـــــلات

دوامى الايـــد يخبطن السريحـا(٦٧)

واللغة العربية اتجهت فى هذا الموضع إلى تحـويل ياء المنقـوص إلى كسرة طويلة فى حالتى الرفع والجـر عن طريق حذف هذه اليـاء ، واتحـاد الحركتين قبلهـا وبعدها فى كسرة واحـدة ممدودة ، وابقـت على هذه اليـاء فى حالة النصب محـركة بعلم النصب وهو الفتحـة ، وبـذا تخففت من ثقل النطـق باليـاء وفيهـا الضمة أو الكسرة .

فإذا ما جـاء بعد هذا المـد الطويل سـاكن من تنوين وخلافـه فإنـه يتحـول إلى كسرة قصيرة .

ـ تحريك هاء ضمير الواحـد الغـائب فى وصـل الكلام بالضـمة القصيرة ، وبعبارة النحـاة بضمة غير متبوعه بواو .

وقد بقيت هذه الخاصـة فى السـنة بعض العرب وعليه جـاء قـول الشـماخ :

لـــه زجـــل كانـه صـــوت حـــــاد

إذا طلـب الوسـيقة أو زمـير(٦٨)

---

(٦٦) ضرائر الشـعر ص ١٢٠

(٦٧) الخصـائص ٣/ . وضرائر الشعر ص ١٢٠

(٦٨) راجـع الكتـاب ١/ ٣٠ والخصـائص ١/ ١٢٧ ، ٢/ ١٧ ، ٣٥٨ وضرائر الشعر ص ٥٢ ، ١٢٣

وقـول الشـجرى :

وإنـا ليرعـى فى المخـوف سـوامنا

كـانه لـم يشـعر به من يحـاربه (٦٩)

وقـول الأعشى :

فمـا له من مجـد تليـد ولا لـه

من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا (٧٠)

وقـول الشـاعر :

أو معبر الظهـر ينبى عن وليتـه

ما حج ربـه فى الدنيا ولا اعتمرا (٧١)

وقـول الآخـر :

وأيقـن أن الخيـل إن تلتبس بـه

يكن لغسـيل النخـل بعده آبر (٧٢)

وهذا يقود إلى القـول : أن أصـل ضـمير الواحـد الغائب الهـاء المحـركة بالضمة للمذكر ، والهـاء المحركة بالكسرة للمؤنث كمـا هى ثابتـة فى حـالة الانفصال فى لفظ « هـو » و « هى » ولكن لمـا كانت الهـاء لا تسـتقل بنفسـها قرنت فى حـالة الانفصـال بالـواو والياء المحـركة بالفتـح ، فالـواو والياء جـاءتا ليبرز الضمير على صيغة معتـدلة ، ويتحقق له صفة الاستعمال المستقل كما يـدل عليه حذف هذه

---

(٦٩) انظر الخصائص ٣٧١/١

(٧٠) شرح أبيات سـيبويه ص ٤٦ وضرائر الشعر ص ١٢٣

(٧١) شرح أبيات سيبويه ص ٤٧ وضرائر الشعر ص ١٢٢

(٧٢) شرح أبيات سيبويه ص ٤٦ وضرائر الشعر ص ١٢٣

الواو والياء فى قول الؤعجير السلولى :

فيناه يشرى رحله قال قائل

لمن جمل رحو الملاط نجيب(٧٣)

وقول الشاعر :

واعطيه ما يرجو واوليه سؤله

والحقه بالقوم حتاه لاحق(٧٤)

وقول الآخر :

بيناه فى دار صدق قد اقام بها

حينا يعللنا وما نعلله(٧٥)

وقول الشاعر :

دار لسعدى إذه من هواكا(٧٦)

أما تحريك هاء الضمير بالضمة الممدودة فقد أتاه من قبل الاعتداد ومراعاة لفظه فى حالة الانفصال .

فأصل « رأيته » بالضمة الممدودة « رأيتهو » رأيت « = الفعل » + هو (صيغة الضمير المنفصل فقلبت فتحة الواو ضمة اتباعا لضمة ما قلبها ، وحذفت الواو لوقوعها بين ضمتين ، واتحد الضمتان فى

(٧٣، ٧٤، ٧٥) ضرائر الشعر ص ١٢٦ .

(٧٦) الخصائص ٨٩/١ وضرائر الشعر ص ١٢٦ واللسان (هيا) والضمير هو وهى تطور فى ألسنة بعض العرب وهو منفصل غير متصل فلقد ذكرت كتب اللغة أن بنى أسد وقيس يقولون هى وهو بالاسكان (اللسان هيا) أى بحذف الواو والياء واتحاد الحركتين فى حركة واحدة ممدودة . وجاء هى بالتشديد في لغة همدان (اللسان) (هيا)

ضمة واحدة ممدودة ومثل هذا حدث في « لـه » بتحريك الهاء وبالضمة الممدودة .

وأصل عليه بالكسرة الممدودة - على (بياء محركة بالفتح) + هو (صيغة الضمير وهو منفصل) .

ففى لفظ « علي » سكنت الياء . وفى لفظ « هو » قلبت ضمة الهاء كسرة اتباعا للياء قبلها ، وتبع ذلك قلب فتحة الواو كسرة اتباعا لكسرة الهاء ، وحذفت الواو لوقوعها بين كسرتين ، واتحد الكسرتان فى كسرة واحدة ممدودة ، ومثل هذا حدث فى لفظ « به » بتحريك هاء الضمير بالكسرة الممدودة .

أما أصل كلمة « عليها » بالفتحة الممدودة فهو : على (بياء مفتوحة) + هى (صيغة ضمير الواحدة وهو منفصل) قلبت كسرة الهاء فتحة اتباعا لفتحة ما بعدها ، وحذفت الياء لوقوعها بين فتحتين ، واتحد الفتحتان فى فتحة واحدة ممدودة وفى « على » سكنت الياء فصار « عليها » بدلا من « عليهى » بهاء مكسورة وياء مفتوحة .

وقرأ البعض بالضمة الممدودة(٧٧) قوله عز وجل « **خذوهو فغلوهو** »(٧٨) و « **فالقى عصاهو** »(٧٩) وتكملة للحديث عن الضمائر أقول : أن « هما » مثنى « هى » و « هو » الهاء : الضمير

---

(٧٧) انظر الخصائص ١٨/٢

(٧٨) سورة الحاقة آية ٣٠ .

(٧٩) سورة الأعراف آية ١٠٧ وسورة الشعراء آية ٣٢ .

و « مـا » علامـة التثنية أخـت الالـف والنـون اللاحقـة للتثنيـة فى « المحمـدان » ونحـوه ، ولكن بتقدقيم الميم (أخـت النـون) على الالـف .

وان « همـو » جمـع « هـو » الهاء : الضمير و « مـو » الميم والضمة الممدودة علامـة الجمـع أخت الواو والنـون اللاحقـة للجمـع فى « المحمـدون » ونحـوه ، ولكن بتقـديم الميم (أخت النـون) على الضمة الممـدودة .

و « هن » جمع « هى » فالاصـل : « هـون » الهـاء : الضمير والواو والنـون علم الجمع ، فقصرت الضمة الممـدودة لوقـوع سـاكن بعـدها ، وضعفت النـون عوضـا عنهـا ، لتعتدل وتسـتقيم صيغة الكلمـة .

و « انتمـا » مثنى : أنت بزيـادة الميم والالف ، فالميم والالف علم التثنية كمـا ان الالـف والنـون (أخـت الميـم) علـم التثنية فى « المحمـدان » ونحـوه .

و « انتمو » جمـع « أنت » بزيادة الميم والواو كمـا زيـدت فى المحمـدون ونحـوه ، ولكن بتقـديم الميم (أخت النـون) على الواو (= الضمة الممدودة) .

و « أنتن » جمـع « أنت » فالاصـل « أنتـون » أنت : الضمير + علامـة الجمع الواو والنـون ، قصرت الضمة الممدودة ، لوقـوع ساكن بعـدها ، وضعفت النـون عوضـا عنهـا ، ولتعتدل وتستقيم صيغة الكلمـة .

و « نحـن » جمـع أن ضمير الواحـد المتكلم ، فالاصـل « أنون »

أن : الضمير + علامة الجمع الضمة الممدودة والنون ، قصرت الضمة الممدودة ، لوقوع ساكن بعدها ، وقلبت الهمزة حاء فصارت : حنن حدث قلب مكانى بتقديم النون على الحاء فصارت : نحن .

وضمير المخاطب المتصل الكاف المحركة بالفتح للمذكر ، والكاف المحركة بالكسرة للمؤنث نحو : عليك للمذكر و « عليك » للمؤنث .

وفى « عليكما » الكاف ضمير المخاطب و « ما » علامة التثنية .

وفى « عليكمو » الكاف ضمير المخاطب و « مو » الميم والواو (= الضمة الممدودة) علم الجمع .

و « عليكن » أصلها : « عليكون » كاف الخطاب + علامة الجمع ، فقصرت الضمة الممدودة ، لوقوع ساكن بعدها ، وضعفت النون حملا على تضعيفها فى الضمير المجموع المنفصل ، وجريا للباب على وتيرة واحدة .

وفى « كتبنا » « نا » علم التثنية فى الأصل كما أنه علم التثنية فى « المحمدان » ونحوه ، ولكنه استعمل فى الدلالة على الجمع ايضا من باب التوسع .

وخلاصة القول : أن حركة هاء الضمير الغائب فى أصل اللغة حركة قصيرة الضمة القصيرة للمذكر ، والكسرة القصيرة للمؤنث ، وأنها قد تتحول إلى حركة أخرى عن طريق الاتباع الصوتى .

وأن تحريك هاء الضمير بالحركة الممدودة جاء عن طريق حذف الواو والياء اللاحقة لاعتدال صيغته فى الانفصال - واتحاد الحركتين فى حركة واحدة ممدودة .

وأن التثنية والجمع فى الضمائر جرى على نحو جريانه فى الأسماء المحضة ، فالتثنية تمت بزيادة ميم وألف على المفرد وهى تضارع الألف والنون فى « المحمدان » ونحوه ،، والجمع جرى بزيادة ميم وواو (= الضمة الممدودة) على المفرد وهى تضارع الواو والنون فى « المحمدون » ونحوه تماما .

- حذف النون مما يسمى الأفعال الخمسة فى حالة الرفع .

وقد بقيت هذه الخاصة فى ألسنة بعض العرب وعليها جاء قول الشاعر :

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى

وجهك بالعنبر والمسك الذكى(٨٠)

وقول أيمن بن خريم :

وإذ يغضبوا الناس أموالهم

إذا ملكوهم ولم يغضبوا(٨١)

وقول الشاعر :

والأرض أورثت بنى آدما

ما يغرسوها شجرا أياما(٨٢)

وقول أبى القمقام الأعرابى :

تسلا كل حرة نحيين

وإنما سلأت عكتين

---

(٨٠) الخصائص ٢٨٨/١

(٨١، ٨٢، ٨٣) ضرائر الشعر ص ١١٠

ثم تقولى اشترلى قرطين (٨٣)

لحاق النون وعدم حذفها مما يسمى الأفعال الخمسة فى حالة النصب .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول الشاعر :

أن تقرآن على اسماء ويحكما
منى السلام والا تعلما أحدا (٨٤)

وقول الآخر :

إذا كان أمر الناس عند عجوزهم
فلابد أن يلقون كل يباب (٨٥)

وقول الشاعر :

أبى الناس ويب الناس أن يشرونها
ومن يشترى ذاعلة بصحيح (٨٦)

وقول الآخر :

إن تهبطين بلاد قو
م يرتعون من الطلاع (٨٧)

- لحاق النون وعدم حذفها مما يسمى الأفعال الخمسة فى حالة الجزم .

---

(٨٤) الخصائص ١/ ٣٩٠ وضرائر الشعر ص ١٦٣
(٨٥،٨٦) ضرائر الشعر ص ١٦٤
(٨٧) الخصائص ١/ ٣٨٩ وضرائب الشعر ص ١٦٣

وبقيت هذه فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول الشاعر :

لولا فوارس من نعم وأسرتهم

يوم الصليفاء لم يوفون بالجاد (٨٨)

وهذا يشير إلى : أن الألف والنون فى « يكتبان » ونحوه علم التثنية كما أنهما فى « المحمدان » ونحوه علم التثنية ، وأن الواو (= الضمة الممدودة) والنون فى « يكتبون » ونحوه علم الجمع ، كما أنهما فى « المحمدون » ونحوه علم الجمع .

وأن إعراب هذه الأفعال المسماة الأفعال الخمسة كان بحركات قصيرة تتوارد على النون الضمة فى حالة الرفع ، والفتحة فى حالة النصب ، وتشكل هذه النون بما يسمى السكون فى حالة الجزم . على أن هذه النون كانت تحذف تخفيفا بكثرة فى حالتى النصب والجزم ، وذلك لان الفعل فى هاتين الحالتين يتقدم عليه من الأدوات ما يسد مسد الحركات التى تتعاقب على النون للدلالة على الحالات الإعرابية المختلفة ، فهذه الأدوات تعين على التعرف والوقوف على حالته الإعرابية دون دون حاجة إلى النون المتبوعة بالفتحة نصبا ، والمشكلة بما يسمى السكون جزما .

وأن اللغة العربية فى تطورها قد استفادت من حذف النون تخفيفا فى حالتى النصب والجزم ، فى الدلالة على النصب والجزم ، وجعلت ذلك علما عليهما ، كما جعلت ثبات النون فى حالة الرفع علما على الرفع ودالا عليه ، وبذا تخففت اللغة من تعاقب هذه

---

(٨٨) الخصائص ١/٣٨٨ وشرح أبيات سيبويه ص ٥٣

الحركات على النون ، وألزمت هذه النون فى حالة التثنية حركة واحدة هى الكسرة ، لتخالف الفتحة الممدودة قبلها ، وألزمتها فى حالة الجمع الفتحة ، لتخالف الواو (= الضمة الممدودة) قبلها .

أما مع ياء المخاطبة فقد كانت العربية تزيد نونا بعد ياء المخاطبة بصفتها حرفا صالحا لأن تتوارد عليه الحركات الإعرابية الضمة والفتحة والسكون ، وأنها من الحروف التى استحسن العرب زيادتها فى آخر الكلمة ، وكانت هذه النون تحذف تخفيفا وبكثرة فى حالتى النصب والجزم .

والعربية فى تطورها أجرت الأمر مع ياء المخاطبة على نحو ما أجرته فى حالة التثنية وفى حالة الجمع ، فجعلت ثبات النون علما للرفع ، وحذفها علما للنصب والجزم ، وذلك حملا عليهما وطردا للباب على وتيرة واحدة ، إذ النون فى التثنية قبلها فتحة ممدودة ، وفى الجمع قبلها ضمة ممدودة ، وكذلك ياء المخاطبة كسرة ممدودة ، فهن إذن أخوات ومن عائلة صوتية واحدة هى عائلة الحركات ، فسمح ذلك بالحمل وتوحد النظرة إليها والمعاملة لها .

وخلاصة القول : أن الألف والنون فى « يكتبان » علم التثنية ، وأن الواو والنون فى « يكتبون » علم الجمع ، وقد حذفت من لن يكتبا ويكتبوا ولم يكتبا لم يكتبوا تخفيفا .

وأن إعراب هذه الأفعال كان بحركات تتعاقب على النون ، واللغة تخففت من توالى الحركات على النون ، واستغلت ثبات النون ، وحذفها أحيانا للتخفيف فى الدلالة على الحالات الإعرابية المختلفة .

- إعراب ما يسمى الاسماء الستة بالحركات لا بالحروف :

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب فحكى عنهم قولهم « هذا أبك » و « ورايت أبك » و و « مررت بأبك » ، فحذفوا لاماتها وأعربوها بالحركات بالضمة رفعا ، وبالفتحة نصبا وبالكسرة جرا (٨٩) . فهذا من مخلفات العربية فى مراحلها الأولى . وهذا يشير على ما يبدو إلى : أن إعراب ما يسمى الاسماء الستة كان بحركات قصيرة تتعاقب على لاماتها (الواو) الضمة فى حالة الرفع ، والفتحة فى حالة النصب ، والكسرة فى حالة الجر .

ولكن العربية قد حولتها إلى حركات ممدودة ، واستغلتها فى الدلالة على الإعراب ، فهذه المدات علم الإعراب بجانب تمثيلها لاصل من أصول الكلمة وهو الحرف الثالث منها .

ففى حالة الرفع كان التركيب على ما يبدو هكذا « جاء أخوك » بواو محركة بالضمة ، الواو لام الكلمة ، والضمة علم الرفع ، فاللغة فى تطورها حذفت الواو ، لوقوعها بين ضمتين ، فاتحد الضمتان وصارا ضمة واحدة ممدودة ، فكانت الكلمة أخوك بالضمة الممدودة .

وفى حالة النصب كان التركيب هكذا « رأيت أخوك » بواو محركة بالفتحة ، الواو لام الكلمة ، والفتحة علم النصب ، فاللغة قلبت ضمة الخاء (عين الكلمة) فتحة اتباعا لفتحة ما بعدها فصارت « أخوك » بواو واقعة بين فتحتين ، فحذفت الواو ، واتحد الفتحتان فى فتحة واحدة ممدودة فصار « أخاك » بالفتحة الممدودة .

---

(٨٩) راجع شرح المفصل ١/٥٢ ، ٥٣

وفى حالة الجر كان التركيب « مررت بأخـوك » بواو محـركة بالكسرة ، الواو لام الكلمة ، والكسرة علم الجر ، فاللغـة فى تطـورها قلبت ضمة الخـاء (عين الكلمـة) كسرة إتبـاعا لكسرة ما بعـدها ، فحذفت الواو ، لوقوعهـا بين كسرتين ، واتحـد الكسرتتان فى كسرة واحـدة ممدودة فصارت الكلمة « أخيـك » بالكسرة الممدودة .

وبذا تخففت اللغـة من ثقـل توالى الحركات الإعرابية على الواو (= لام الكلمة) واستغلت هذه الحـركات الممـدودة فى الدلالة على الإعراب ، فأصبحت الواو (= الؤضمة الممدودة) علم الرفع والألف (= الفتحة الممدودة) علم النصب ، والياء (= الكسرة الممدودة) علم الجـر ، وفى الوقت نفسه تمثل الحـرف الثالث من الكلمـة ، وهذا يمكن أن يسمى « ازدواجية الدلالة » .

وأما ما جـاء فى لغـة بلحارث بن كعب من إلزام الاسماء الستة الألف(٩٠) والتى عليها جاء قول الشاعر :

إن أباهـــا وأبـــا أباهـــا قـد بلغـا فى المجد غايتاها(٩١)

وقولهم « كأن فاى » بالألف بدون كسر ما قبـل ياى المتكلم وقياسه كأن فى(٩٢) فإنمـا جـاءت الألف فى هذه اللغة من قبـل تحـريك عين الكلمة ولامها بالفتحة اتباعا لفتحة الغـاء ، فحـذفت لام الكلمـة (= الـواو) لوقوعهـا بين فتحتين ، واتحـد الفتحتان وصـارا فتحة واحـدة ممدودة .

---

(٩٠) انظر شرح المفصـل ٥٣/١

(٩١) راجع شرح المفصل ٥٣/١ ، ١٢٩

(٩٢) راجـع الخصائص ٧/٢

فالألف حادثة عن اتحاد الحركات بعد حذف الواو (= لام الكلمة) نتيجة ايثارهم اتباع الحركة الحركة فى كلامهم فوقعما جرت به العادة ، فهذه ظاهرة لهجية محضة ، وليست موروثة عن عربية المرحلة السابقة .

ـ لزوم المثنى الألف رفعا ونصبا وجرا :

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وهم بلحارث ابن كعب ، وبطون من ربيعة فهم ينطقون بالألف فى موضع جر التثنية ونصبها فيقولون مررت بأخواك وضربت أخواك(٩٣) .

وعلى هذه اللغة جاء قوله عز وجل « إن هذان لساحران »(٩٤) .

وعليها جاء ما أنشده المفضل لرجل من ضبة :

إن لسلمى عندنا ديوانا

أخزى فلانا وابنه فلانا

أعرف منها الجيد والعينانا

ومنخرين أشبها ظبيانا(٩٥)

وقول العجير السلولى :

إذا مت كان الناس صنفان شامت

وآخر مثن بالذى كنت أصنع(٩٦)

---

(٩٣) راجع الخصائص ٢/١٤ ـ ١٦ وشرح المفصل ٣/١٢٨ وشرح التصريح ١/٦٧ ـ ٦٨

(٩٤) سورة طه آية ٦٣

(٩٥) ضرائر الشعر ص ٢١٨ وشرح المفضل ٣/١٢٩ ، ٤/١٤٣

(٩٦) شرح أبيات سيبويه ص ٥٩

وقول الشاعر :

تزود منا بين أذناه طعنة

دعتـه إلى هابى التراب عقيم (٩٧)

وقول الآخر :

فأطرق إطراق الشجاع لو يرى

مساغا لناباه الشجاع لصمما (٩٨)

وقول الشاعر :

ألقى عليك المغرم الأونانا (٩٩)

- تحريك نون التثنية بالفتح .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول حميد بن ثور :

على أحوذيين استفلت عشية

فما هى إلا لمحة فتغيب (١٠٠)

وقول الشاعر :

يارب خال لك من عرينه

حج على قليص جوينه

فسوته لا تنقضى شهرينه

شهرى ربيع وجماديينه (١٠١)

- تحريك نون التثنية بالضم .

(٩٧، ٩٨) شرح المفصل ١٢٨/٣

(٩٩) ضرائر الشعر ص ٢١٨

(١٠٠) ضرائر الشعر ٢١٧ وشرح المفصل ١٤١/٤

(١٠١) ضرائر الشعر ص ٢٢٧ وشرح المفصل ١٤٢/٤

وبقيت هذه فى السنة بعض العرب فلقد حكى عنهم : الزيدان والعمران(١٠٢) وعلى هذا جاء قول رؤبة :

يا ابتـــا أرقـــنى القنـــــــــان

فالغمض لا تطعمـــــه العينـــــان

من أجـــل برغـوث لـــه اســـــنان

وللبعوض فوقنـــا دنـــــدان(١٠٣)

- الجمع بالواو والنون ليس مختصا باعلام من يعقل وصفاتهم .

وقد بقى هذا فى السنة بعض العرب فقالوا : بره وبرون ، وسنه وسنون وسانه ومئون ، وأرض وأرضون ، وثبه وثبون ، وقله وقلون ، وحره وحرون وأحرون(١٠٤) .

وعلى هذا ما جاء فى التنزيل من قوله عز وجل « سنين » وقوله سبحانه « **كلا إن كتاب الإبرار لفى عليين** »(١٠٥) .

وعلى هذا جاء قول الشنفرى :

ولى دونكم أهلون ســـــيد عملس

وأرقـط زهلول وعـرفاء جيال(١٠٦)

وقـول الشـاعر :

لا خمس إلا جنـــدل الأحـــــــرين

والخمس قـــد أجشمك الأمرين(١٠٧)

---

(١٠٢) راجع شرح المفصل ٤٣/٤

(١٠٣) ضرائر الشعر ص ٢١٨

(١٠٤) راجع المفصل ٥/٥ ، ٣٧

(١٠٥) سورة المطففين آية ١٨

(١٠٦) شرح المفصل ٣١/٥

(١٠٧) المرجع السابق ٥/٥

ـ تحريك نون الجمع السالم بالضمة .

وبقيت هذه فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول الشاعر :

وإن لنا أبا حسن عليا
أب بر ونحن له بنين(١٠٨)

ـ تحريك نون الجمع السالم بالكسرة .

وقد بقيت هذه فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول ذى الأصبع العدوانى .

إنى ابنى ابنى ذو محافظة
وابن ابنى من ابيين(١٠٩)

وقول الفرزدق :

ما سد حى ولا ميت مسدهما
مثل الخلائف من بعد النبيين(١١٠)

وقول جرير :

عرين من عرينه ليس منا
برئت إلى عرينه من عرين
عرفنا جعفرا وبنى رياح
وأنكرنا زعانف آخرين(١١١)

وقول الشاعر :

---

(١٠٨) ضرائر الشعر ص ٢١٩
(١٠٩) شرح المفصل ١٣/٥
(١١٠) شرح المفصل ١٤/٥ وضرائر الشعر ص ٢١٩
(١١١) ضرائر الشعر ص ٢١٩

وماذا يـــدرى الشـــعراء منـــــى

وقـد جـاوزت الأربعـــين(١١٢)

- بقاء النون فى الجمع السالم وعدم حذفها فى حال الإضافة .

وبقيت هـذه فى السنة بعض العرب وعليها جاء قول الصمة ابن عبد الله القشيرى :

ذرانى من نجـــد فـإن ســـنينه

لعبن بنـا شـيبا وشيبننا مـردا(١١٣)

وقول الشـاعر :

هـــم القـــائلون الخـير والآمـــرونه

إذا ما خشوا من محدث الأمـر معظما(١١٤)

وقـول الآخـر :

ولـــم يرتفـــق والنـــــاس محتضرونه

جميعـــا وأيدى المعتفين رواهقـــه(١١٥)

وقول القطيب بن سنان الهجمى :

ســـنينى كلهـــــا لاقيت حـــــربا

أعـــد مع الصـــلادمة الذكـــور(١١٦)

---

(١١٢) شرح المفصل ١١/٥ وضرائر الشعر ص ٢٢٠

(١١٣) شرح المفصل ١٢/٥ وضرائر الشعر ص ٢٣٠

(١١٤) ضرائر الشعر ص ٢٧ وراجع الكتاب ١٨٨/١ وشرح المفصل ١٢٥/٢

(١١٥) ضرائر الشعر ص ٢٨ وراجع الكتاب ١٨٨/١ ، وشرح المفصل ١٢٥/٢

(١١٦) شرح المفصل ١٢/٥ وضرائر الشعر ص ٢٢٠

وقول الشاعر :

ولقد ولدت بنين صدق سادة

ولأنت بعد الله كنت السيدا(١١٧)

وقول الآخر :

رب حي عرندس ذي طلال

لا يزالون ضاربين القباب(١١٨)

هذا المسموع عن العرب من لزوم المثنى الألف رفعا ونصبا وجرا ، ومن تحريك نون التثنية بالفتح والضم بجانب الكسر وكذا المسموع عن العرب من تحريك نون الجمع السالم بالضمة والكسرة بجانب الفتحة ، ومن بقاء النون وعدم حذفها عند الإضافة - يشير على ما يبدو إلى أن علامة التثنية فى أصل اللغة العربية هى الألف والنون فقط ، وأن علامة الجمع هى الواو والنون ، ولم يكن المزدوج اليائى المائل فى « المحمدين » ونحوه علامة دالة على التثنية أى لم يوضع فى أصل اللغة هذا الوضع ، ولم تكن الياء (= الكسرة الممدودة) والنون المائلة فى « المحمدين » ونحوه علامة دالة على الجمع فى أصل اللغة .

هذا عن الشق الأول من القول - أما الشق الثانى فيتمثل فى أن هذه العناصر وهى الألف والنون فى التثنية ، والواو والنون فى الجمع - لم تكن فى أصل اللغة أكثر من كونها علامات دالة على

---

(١١٧) شرح المفصل ١٢/٥ وضرائر الشعر ص ٢٢٠

(١١٨) ضرائر الشعر ص ٢٢١ (هامش) الضرائر ١٦٨

التثنية أو الجمع ، ولم تكن تدل على الإعراب ، وإنما إعراب المثنى والجمع كان يتم بواسطة حركات قصيرة تتعاقب على النون شأنه شأن المفرد تماما ، الضمة فى حالة الرفع ، والكسرة فى حالة الجر ، والفتحة فى حالة النصب .

واللغة العربية اتجهت فى هذا الموضع إلى ما يسمى ازدواجية الدلالة ، وذلك بقلب ضمة الرفع التى فى النون فى « المحمدان » ونحوه - كسرة ، لتخالف الألف قبلها(١١٩) وفى حالة الجر أميلت الألف نحو الكسرة التى فى النون بعدها إمالة خفيفة ، وتبع ذلك تحول الألف إلى مزدوج عنصره الأول فتحة وعنصره الثانى ياء ساكنة .

وفى حالة النصب قلبت فتحة النصب التى فى النون كسرة لتخالف الألف قبلها ، وأميلت الألف نحو الكسرة إمالة خفيفة وتبع ذلك تحول الألف إلى مزدوج يائى كما حدث فى حالة الجر .

هذا فى التثنية . أما فى الجمع فقد قلبت اللغة ضمة الرفع التى فى النون فى « المحمدون » ونحوه - فتحة ، لتخالف الواو (= الضمة الممدودة) قبلها .

وفى حالة الجر أميلت الواو نحو الكسرة التى فى النون بعدها إمالة شديدة ، وتبع ذلك تحول هذه الواو إلى كسرة طويلة خالصة .

وفى حالة النصب جرى ما جرى فى حالة الجر حملا عليها وذلك بقلب فتحة النصب التى فى النون كسرة ، وإمالة الواو نحو الكسرة ، وتبع ذلك تحولها إلى كسرة طويلة خالصة .

---

(١١٩) انظر العربية الفصحى ، لهنرى فليش ص ٤٨

وقد يعضد هذه النظرة ما ورد من لزوم المثنى الألف ، ومن تعاقب الحركات المختلفة على نون التثنية ونون الجمع ، ومن ثبات النون وعدم حذفها في حال الاضافة على النحو الذي جاء في الشواهد المذكورة .

وقد يكون من الأدلة أيضا : أنه لا وجود لهذه الصيغة الثنائية البائية للتثنية والجمع في تثنية وجمع الضمائر ، ولا في تثنية وجمع الأفعال .

فما وجد في تثنية الضمائر هو : الميم والألف في « هما » و « أنتما » والميم والألف تضارع الألف والنون في « المحمدان » ونحوه .

وفي تثنية الأفعال الألف والنون في « يكتبان » ونحوه .

وما وجد في جمع الضمائر هو الميم والواو (= الضمة الممدودة) في « هم » و « أنتم » والميم والواو تضارع الواو والنون في « المحمدون » ونحوه .

وفي جمع الأفعال الواو والنون في « يكتبون » ونحوه .

حتى أنهم لما حذفوا النون من بعض الأفعال تخفيفا ولأنه لا يعتورها ولا يتوارد عليها من المعاني ما يتوارد على الاسماء - احتفظوا لها برسمها الف في موضعها متى سنح نظام الكتابة بهذا ، وهذه الألف تكتب ولا تنطق ، فهي للإعلام وللإشعار بأن هذه النون منوية ومرادة وأنها تمثل عنصرا من علامة التثنية وعلامة الجمع فقالوا : كتبوا .

ومن الأدلة : لزوم « كلا » و « كلتا » الألف رفعا ونصبا وجرا عند إضافتها إلى الاسم الظاهر .

فعلم التثنية فى كل منهما : الألف والنـون ، ولكن النون حذفت لملازمتهما الإضـافة ، والتـاء فى « كلتـا » للتأنيث ، كمـا هى فى قائمتان مثنى قائمة .

ولضعف معنى التثنية فى « كلا » جـاء الإخبـار عنهـا بالمفـرد فى قولهم : كلا أخـويك مسافر ، ولما فيهـا من معنى التوكيد جـاز إضافتها إلى المثنى فى قولهم : جـاءنى كلا اخـويك ، وكلا الرجلين .

أما الياء فيهما عند إضافتهما للضمير فى قولهـم رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما فقد جـاءت من قبل أن هـاء الضمير كانت تقع عليهـا الحركات الإعرابية ، كما تقع على تاء التأنيث فى قائمـة ونحـوها ، وذلك لشـدة اتصال هاء الضمير بهمـا ، وصيرورته كالجزء كالجزء منهما ، فكانت الهـاء تحرك بالضمة رفعا ، بالفتحة نصبا ، وبالكسرة جـرا .

وقد بقيت الألف فى كلا وكلتـا على حالها دون تغير فى حـالة الرفع ، لأن الألف تخالف الضمة بعدها .

أما فى حالة الجـر فقد حدثت الياء نتيجـة إمالة الألف نحـو الكسرة التى فى الهاء بعدها إمالة خفيفة ، وتبع ذلك تحـول الألف إلى مزدوج يائى عنصره الأول فتحة وعنصره الثانى ياء ساكنة .

أما فى حالة النصب فقد حـدثت مخالفة صـوتية بقلب الفتحـة التى فى هاء الضمير كسرة ، لتخالف الألف قبلهـا ، كمـا حدث فى « المسلمات » ونحوها من قلب فتحة النصب كسرة ، لتخالف الألف قبلها ثم أميلت الألف نحو الكسرة بعدها ، وتبـع ذلك تحـول الألف إلى مزدوج يائى ، ومن هنا اتحـدت صورة الجـر والنصب فيهما وبـذا نشـأ المزدوج اليائي في حالتي النصب والجر .

والخلاصة : أن شدة اتصال هاء الضمير بكلا وكلتا وصيرورتها كالجزء منهما سنح بجريان الحركات الإعرابية على هاء الضمير ، وتحملها لها بدلالة ضم هاء الضمير فى حالة الرفع ، وكسرها فى حالتى النصب والجر وليس هذا طريقه الاتباع الصوتى - وتبع ذلك إمالة الألف نحو الكسرة بعدها تلك الكسرة الثابتة فى حالة الجر ، والمنقلبة عن فتحة النصب للمخالفة وبذا تحولت إلى مزدوج يائى ، ومن العرب من يلزم كلا وكلتا الألف مطلقا(١٢٠) .

ومن الأدلة : ما سمع من قولهم « اللذون » بالواو والنون رفعا ونصبا وجرا وهو جمع الذى(١٢١) .

ومن هذا كله يتوصل إلى القول : أن التثنية فى أصل اللغة كانت تتم بواسطة زيادة ألف ونون كما فى « المحمدان » و « يكتبان » و « هذان » و « اللذان » أو ميم وألف كما فى « هما » و (انتما) .

وأن الجمع كان يتم بواسطة زيادة واو ونون كما فى « المحمدون » و « يكتبون » و « اللذون » أو ميم وواو (= ضمة ممدودة) كما فى « همو » و « أنتمو » وأن هذه العلامة على ما يبدو لم تكن أكثر من كونها علامة دالة على التثنية أو الجمع ، ولم تكن تدل على الإعراب ، وإنما كان الإعراب يتم بواسطة الحركات القصيرة العادية التى كانت تتعاقب على النون وحدثت الصورة البائية فى التثنية والجمع عن طريق المخالفة الصوتية والإمالة على نحو .

---

(١٢٠) انظر شرح التصريح على التوضيح ٦٨/١

(١٢١) قارن شرح المفصل ١٤٢/٣ وحاشية الصبان ١٤٩/١ وانظر ص من الكتاب .

ما ذكر والعربية الفصحى فى هذا الموضع قد تخلصت من ثقل توالى الحركات الإعرابية على النون ، والزمتها حركة واحدة هى الكسرة فى التثنية ، لتخالف الالف قبلها ، والفتحة فى الجمع ، لتخالف الواو والياء قبلها .

ولجأت إلى ما يسمى ازدواجية الدلالة ، فجعلت الالف والنون والياء والنون فى التثنية ، والواو والنون والياء والنون فى الجمع علامات دالة على الإعراب ، بجانب كونها علامات دالة على التثنية والجمع .

كما استغلت حذف النون تخفيفا مع بعض الأفعال المسماة الأفعال الخمسة فى الدلالة على حالات إعرابية معينة ، وتخففت من ثقل توالى الحركات على النون معها(١٢٢) .

- نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة .

وقد بقيت هذه الخاصة فى ألسنة بعض العرب ، فلقد حكى الخليل ابن أحمد قولهم « استأصل الله عرقاتهم » أى أصولهم بفتح التاء من عرقاتهم(١٢٣) ، وحكى الكسائى « سمعت لغاتهم بفتح التاء(١٢٤) ، وحكى ابن سيده : رأيت بناتك بفتح التاء(١٢٥) وعلى هذا جاء قول أبى ذؤيب الهذلى :

---

(١٢٢) قارن من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٧٠ - ٢٧٤ وقارن بكتاب « فقه اللغة المقارن » للدكتور إبراهيم السامرائى ص ٧٥ وما بعدها .

(١٢٣) راجع الكتاب ٢٩٢/٣ والخصائص ٣٨٤/١ ، ١٣/٢ وشرح المفصل ٩/٥

(١٢٤) شرح المفصل ٨/٥

(١٢٥) المرجع السابق ٤/٥ (هامش)

فلمـا اجتـلاها بالأيـــام تحيزتـــ

ثبـاتا عليهـا ذلهـا وانكسارها(١٢٦)

وهذا يقود إلى القـول : ان جمع المؤنث السـالم فيما يبـدو كان ينصب بالفتحة ، لجأت اللغة إلى المخالفة الصوتية ، فقلبت الفتحـة فى حالة النصب كسرة ، لتخالف الألف قبلها(١٢٧) ، وبذا صار النصب بالكسرة كالجـر .

– صيغة « اللذون » جمع الذى بالواو والنـون رفعا ونصبا وجرا .

فاسم الموصـول « الذى » كان يجمع بالواو والنـون ، وكان ينطق بهـا فى الرفع والنصب والجر بدلالة أن الصيغة اليائية « اللذين » ينطق بهـا رفعا ونصبا وجرا فالصيغة الواوية هى الأصـل ، وقد بقيت فى السـنة بعض العرب وعليها جاء قول الشاعر :

نحـن اللذون صبحـوا الصـــباحا

يوم النخيـل غـارة ملحـــاحا(١٢٨)

واللغة العربية فى تطورها حولت الضـمة الممدودة كسرة ممدودة فصـارت « اللذين » رفعا ونصبا وجرا .

وما يجدر التنبيه عليه أن « اللذان » مثنى الذى ، فالألاف والنون علم التثنية كما أنهما علم التثنية فى « المحمدان » ونحوه .

و « اللتان » مثنى التى بإضافة الألف والنـون علم التثنية على المفرد بعد حذف الكسرة الممدودة من التى ، لأنه لا يتوالى حركتان .

---

(١٢٦) شرح المفصل ٨/٥

(١٢٧) انظر العربية الفصحى ، لهنرى فليس ص ٤٨

(١٢٨) حاشـية الصبان ١٤٩/١

و « اللات » جمع التى بزيادة الالف والتاء كما هما في الفاطمات جمع فاطمة بعد حذف تاء التأنيث منهما .

وأما اسم الإشارة « هذان » مثنى : هـذا بزيادة ألف ونون ، وحذف ألف المفرد ، لأنه لا يتوالى حركتان .

و « هاتان » ها : للتثنية ، والتـاء : للتأنيث ، والألف والنـون علم التثنية .

أما « هؤلاء » فهى صيغة موضـوعة للجمع ، وقد حذفت ها : التى للتنبيه منها فى « أولائك » وقد اشتملت كل منهما على علم الجمـع وهو عنصر الضمة ، وعنصر اللام ، واللام أخـت النـون المائلة فى « همـو » و « أنتمـو » .

وأصل اللذى : لـذ بلام مفتوحة وذال مفتوحة أيضـا وقلبت هذه الفتحة كسرة لتخالف الفتحة قبلها ، وأصـل التى : لت بـلام مفتوحة ، وتـاء متحركة بالكسرة ، وزيدت ال عليهمـا ومدت الكسرة ، لتعـدل وتستقيم صيغة الكلمة .

ويشـهد لذلك ما سـمع من قولهـم : اللذ بكسر الـذال(١٢٩) ، وما سمع من قولهم : « اللت » بكسر التـاء(١٣٠) ، وما جـاء من حذف الالف واللام منهمـا(١٣١) .

وأصل هذا : ذ ذال محـركة بالفتحة ، فدخلت عليها هـا التنبيه ، ومدت الفتحة لتبرز الكلمة على صيغة مستقيمة .

وأصل هذه : ذ ذال محركة بالكسرة ، فدخلت عليها ها التنبيه

---

(١٢٩) انظر شرح المفصل ١٣٩/٣ وحاشية الصبان ١٤٧/١

(١٣٠) راجع شرح المفصل ١٤٢/٣ وحاشية الصبان ١٤٧/١

(١٣١)

لاعتدال صيغة اللفظ واستقامته ، والهاء الآخرة هاء الضمير التى فى لفظ هى .

- مجىء فاعل من « فعل » بضم العين بجانب مجيئه من « فعل » بفتح العين .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب فقد جاء عنهم : طهر فهو طاهر ، وشعر فهو شاعر ، وحمض فهو حامض ، وعقرت المرأة فهى عاقر ، وخثر فهو خاثر ، وطلقت المرأة فهى طالق(١٣٢) .

ولكن العربية اتجهت إلى أن « فاعل » يأتى من « فعل » بفتح العين وأن « فعل » بضم العين يأتى على « فعيل » .

- مجىء « يفعل » بفتح العين من « فعل » بضم العين يأتى على « فعيل » .

- مجىء « يفعل » بفتح العين من « فعل » المفتوح العين بجانب مجيئه من فعل بكسر العين .

ومن الأمثلة التى حملت هذه الخاصة قلى يقلى ، وسلا يسلى ، وجبى يجبى ، وركن يركن ، وقنط يقنط ، وغسا يغسى ، وأبى يأبى بفتح العين فى الماضى والمضارع(١٣٣)

مجىء « يفعل » بضم العين من « فعل » بكسر العين بجانب مجيئه من « فعل » بضم العين .

ومن أمثلة هذا قولهم : نعم ينعم ، ومت تموت ، ودمت تدوم ، وفضل يفضل بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع(١٣٤) .

---

(١٣٢) راجع الخصائص ١/٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥

(١٣٣) انظر المرجع السابق ١/٣٧٥ ، ٣٨٢

(١٣٤) المرجع السابق ١/٣٧٥ ، ٣٧٨

وهذا يقود إلى القول : أن صوغ المضارع من الماضى لم يكن يخضع فيما يبدو لقانون المخالفة الصوتية دواما ، واتجهت العربية إلى « وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع »(١٣٥) فمفتوح العين يأتى مضارعه بكسر العين أو بضمها إذ أن « كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة »(١٣٦) إلا فى باب فعل يفعل بالضم فإنه تتوافق فيه الحركتان(١٣٧) .

- إظهار التضعيف وترك الإدغام .

وبقيت هذه الخاصة فى ألسنة بعض العرب فلقد حكى عنهم : « ضبب البلد » أى كثر ضبابه ، و « الل السقاء » أى تغير رائحته و « مششت الدابة » ، و « لحجت عينه » أى التصقت و « ضننوا »(١٣٨) .

وعلى هذا جاء قول العجاج :

تشكو الوجى من أظلل وأظلل

من طول إملال وظهر أملل (١٣٩)

وقول قعنب بن أم صاحب :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى

أنى أجود لأقوام وإن ضننوا (١٤٠)

---

(١٣٥) المرجع السابق ٣٧٥/١

(١٣٦) المرجع السابق ٣٧٩/١

(١٣٧) انظر الخصائص ٣٧٦/١

(١٣٨) راجع الخصائص ١٦٢/١ ، ٢٦٢ ، ٣٢٩

(١٣٩) انظر الكتاب ٥٣٥/٣ الخصائص ١٦١/١ ، ٨٧/٣

(١٤٠) الكتاب ٢٩/١ ، ٥٣٥/٣ الخصائص ١٦٠/١ ، ٢٥٧ وشرح أبيات سيبويه ص ٤٨

وقـول الشـاعر :

وإن رأيـت الحجـج الـــرواد دا

قواصر بالعمـــــر أو مـواددا (١٤١)

وقول أبى النجم فى أرجوزته :

الحمـــد لله العـــلى الأجـــــلل

أنت مليـك النـاس ربـا فاقبـل (١٤٢

يارب صـاحب بـازل قـــد رعتـــه

يشكو الوجى فى خفـه والأظلل (١٤٣)

والعربية فى تطـورها وفى مرحلتها الأخيرة اتجهت إلى الادغام وعدم الإظهار فى هذا الموضع .

- اثبات ما يسمى هاء السكت فى الوصول وتحريكها .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وعليهـا جاء قـول مجنـون بن عامر :

فقلـــت أيا ربـــاه أول ســـؤلتى

لنفسى ليـــلى ثم أنت حسيبها (١٤٤)

وقول عروة بن حزام العذرى :

يا رب يارب ـــاه إيـــاك أســـــل

عفـــراء يا ربـاه من قبـل الأجـــل

فإن عفـراء من الدنيـا الأمـل (١٤٥)

---

(١٤١) الخصائص ١٦١/١ ، ٨٧/٣

(١٤٢) الخصائص ٨٧/١ ، ٩٣ وشرح أبيات سيبويه ص ٤٩

(١٤٣) شرح أبيات سيبويه ص ٤٩

(١٤٤) شرح المفصل ٤٧/٩ وضرائر الشعر ص ٥٣

(١٤٥) شرح المفصل ٤٧/٩

قول الشاعر :

ويا مرحبـــاه بحمـار ناجيـــــــه

إذا أتى قربتـــه للســـــــانيه(١٤٦)

وقول الشـاعر :

يا مرحبـــــاه بحمـــــار عفـــراء

إذا أتى قربتـــــه لمـــا شـــــاء

من الشـــعير والحشيش والمـاء(١٤٧)

وهذه الشواهد تقود إلى القول : أن ما يسمى هاء السكت كانت على ما يبدو هاء متحركة بحركة قصيرة ، وكانت تثبت فى الوصل ، وتحذف منها الحركة فى الوقف ، ولكن اللغة العربية الفصحى قصرت إلحاقها على الوقف وهى فيه ساكنة ، وحذفتها وصلا ، لئلا تلتبس بهاء الضمير ، كما أن الوصل يسد مسدها ويؤدى مؤداها فى تبيين الحركة البنائية ، وعدم استهلاكها .

- نطق لدى ، وعلى ، وإلى ونحوها بالياء لا بالألف .

ويشير إلى هذه الخاصة قولهم : لديك ، وعليك ، وإليك ، فهذه الكلمات كانت فى أصل اللغة بالياء المتحركة بالفتح ، ولكن العربية فى تطورها قد حولتها إلى المد الطويل عن طريق اتحاد الحركات بعد حذف الياء ، لوقوعها بين فتحتين .

وكذلك لفظ حرف الجر « فى » ونحوه كان فى أصل اللغة بالياء المتحركة بالكسرة كما يدل عليه ، قولهم فيك وفيه كذا ، وجاء المد

---

(١٤٦) الخصائص ٣٥٨/١ وضرائر الشعر ص ٥١ وشرح المفصل ٤٧/٩

(١٤٧) شرح المفصل ٤٦/٩ وضرائر الشعر ص ٥١

الطويل عن طريق حذف الياء ، لوقوعها بين كسرتين ، واتحاد الكسرتين فى كسرة واحدة ممدودة .

أما « ليت » و « ليس » و « كيف » فقد اكتفى فيها بحذف حركة الياء وهى الفتحة ، ولم تحول إلى المد الطويل خشية الالتباس أو الاخلال بالصيغة ، والقياس يقضى بأن يقال فيها : لات ، و « لاس » و « كاف » بحذف الياء ، لوقوعها بين فتحتين ، واتحاد الفتحتين فى فتحة واحدة ممدودة .

وكذلك الياء المسماة ياء الإضافة وياء المتكلم وياء النفس كانت فيما يبدو ياء محركة بالفتحة دائما والعربية حولتها إلى الكسرة الممدودة فى بعض المواضع عن طريق تحويل الحركة قبلها إلى الكسر اتباعا للياء متى لم يخل ذلك بصيغة الكلمة ولم يؤد إلى التباسها بصيغة أخرى ـ وتحويل الفتحة التى فى الياء إلى كسرة وحذف الياء لوقوعها بين كسرتين واتحاد الكسرتين فى كسرة واحدة ممدودة .

ـ بقاء الواو فى الجمع الذى على « فعول » من الواوى اللام كما هى ، وعدم قلبها ياء .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب فحكى عنهم « إنكم لتنظرون فى نحو كثيرة » جمع نحو أى جهات وقالوا : بهو ، وحكى ابن الأعرابى فى أب أبو ، وفى أخ أخو »(١٤٨) .

وعلى هذا جاء قول القنانى فى مدح الكسائى :

---

(١٤٨) انظر شرح المفصل ٣٦/٥ وراجع الكتاب ٣٨٤/٤

أبي الـذم أخـــلاق الكسائى وانتهى

بـه المجد أخلاق الأبو السوابق(١٤٩)

وقول الشـاعر :

أليس من البـــلاء وجيـب قلـبى

وإيضاعى الهمـوم مـع النجـو(١٥٠)

فالأبو جمع أب ، والنجـو جمع نجو .

والعربية فى هذا الموضع رأت قلب الواو (= لام الكلمـة) ياء ، لتخالف الضمة الممدودة قبلها ، وتوصـلا إلى الإدغـام ، وقلب واو فعـول (= الضمة الممدودة) كسرة ممدودة اتباعا لليـاء بعدها ، وقلب الجـزء الثانى من الكسرة الممدودة ياء ساكنة وإدغـام اليـاء فى اليـاء ، إذ لا يتأتى إدغـام حركة فى حـرف ولا يسـوغ بحـال ، وقلب ضمة الفـاء كسرة اتبـاعا لكسرة ما بعدها (= الجـزء الأول المتبقـى من الكسرة الممدودة) فيقال فى جمع عصا على « فعول » عصى(١٥١) .

ـ أن ما فيه علتان من العلل التسع أو واحـدة تقـوم مقـام علتين مما رواه النحـاة فى كتبهم كان يجر بالكسرة لا بالفتحة .

وقد بقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب وعليها جـاء قول الشـاعر :

ما إن رأيـــت ولا أرى فى مدتـــــى

كجـوارى يلعبن فى الصحراء(١٥٢)

فقال « كجورين » بيـاء محركة بالكسرة ، وهذا يشير على ما يبدو

(١٤٩، ١٥٠) شرح ٣٦/٥

(١٥١ راجع التطور النحوى للغة العربية ص ٦٢ ، ٦٥

(١٥٢) ضرائر الشعر ص ٤٤

إلى أن المسمى الممنوع من الصرف كان يجر بالكسرة بصفة مطلقة أى سواء الحقته أل أم أضيف أم جاء مجردا منهما .

والعربية اتجهت تحت تأثير ظروف لغوية وصوتية خاصة إلى جره بالفتحة ، ومن بين هذه العوامل المخالفة الصوتية ، فلقد قلبت الكسرة التى فى اليـاء فى « جوارى » ونحـوه فتحة ، لتخالف اليـاء قبلهـا .

وأبقت على الكسرة ولم تقبلها فتحـة فى حـالة الإضـافة وحـال اقترانه بأل ، وذلك لأن الارتباط والتداخـل والامتزاج الصـوتى بين المضاف والمضاف إليه وقع الناطق إلى أن يشـحذ ويجمع قواه ويضاعف من استعداداته النطقية ، فهون ذلك من ثقل وصعوبة النطق بالكسرة ، كما أن اقتران « أل » بهذه الكلمات يخلق ويولد إحساسا وشـعورا لدى الناطق بأنه ينطق بكلمتين لا بكلمة واحـدة ، فيهيىء جهازه النطقى لذلك ، وهذا يقلل من ثقل وعسر النطق بالكسرة .

- لحاق النون التنوينية لمـا اجتمع فيه علتـان من العلل التسـع المروية فى كتب النحـو ، أو واحـدة تقـوم مقـام علتين ، وكان هذا التصرف يجرى فى الشعر والكلام على حد سواء .

وبقيت هذه الخاصة فى ألسنة بعض العرب ، فلقد ذكر أبو الحسن الأخفش أنه سمع من العرب من يصرف فى الكلام جميع ما لا ينصرف ، وحكى الزجاجى فى نوادره مثل ذلك(١٥٣) .

وعلى هذا جاء قوله عز وجـل « سلاسلا وأغـلالا وسعيرا »(١٥٤)

---

(١٥٣) ضرائر الشعر ص ٢٥ وراجع الخصائص ٢/٩٦ والبحر المحيط ٨/٣٩٤

(١٥٤) سورة الإنسان آية ٤

وقراءة تترى بالتنوين(١٥٥) من قوله عز وجل « ثم أرسلنا رسلنا تترى »(١٥٦) .

وقول النابغة :

فلتأتينك قصائد وليدفعا
جيشا إليك قوادم الأكوار(١٥٧)

وقول أبى كبير الهذلى :

ممن حملن به وهن عواقد
حبك النطاق فعاش غير مهبل(١٥٨)

وقول امرىء القيس :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات إنك مرجلى(١٥٩)

وقول العجاج :

ورب هذا البلد المحرم
قواطنا مكة من ورق الحمى(١٦٠)

وهذه الشواهد مع سابقتها قد تقود إلى القول : ان مسألة المنع من الصرف تبنى وتقوم على العدول عن النطق بالكسرة فى حالة الجر إلى النطق بالفتحة ، ويمثل هذا التصرف ظاهرة مستقلة ليس لها ارتباط أو تعلق بمسألة ترك التنوين .

---

(١٥٥) السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد ص ٤٤٦
(١٥٦) سورة المؤمنون آية ٤٤
(١٥٧) الكتاب ٥١١/٣ ، والخصائص ٣٤٧/٢ وضرائر الشعر ص ٢٢
(١٥٨، ١٥٩) ضرائر الشعر ص ٢٣
(١٦٠) الكتاب ٢٦/١ وضرائر الشعر ص ١٤٣

- تنوين العلم المحدد المعين بوصفه بابن ، أو بإضافة ابن وأم إليه والمنادى .

- وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب ، وعليها جاء قراءة « عزير » بالتنوين(١٦١ من قوله عز وجل « وقالت اليهود عزير ابن الله »(١٦٢) .

وعلى هذا جاء قول الأغلب العجلى :

جارية من قيس بن ثعلبة

كريمة أخوالها والعصبة(١٦٣)

وقول الشاعر :

هى ابنتكم واختكم زعمتم

لثعلبة بن نوفل بن جسر(١٦٤)

وقول امرىء القيس :

أحاد بن عمرو كأنى خمر

ويعدو على المرء ما يأتمر(١٦٥)

وقول أبى طالب :

ليت شعرى مسافر بن أبى عمرو

وليت يقولها المحزون(١٦٦)

---

(١٦١) انظر شرح المفصل ٣٥/٩

(١٦٢) سورة التوبة آية ٣٠

(١٦٣) الكتاب ٥٠٦/٣ وشرح أبيات سيبويه ص ٣٤٢

(١٦٤) الكتاب ٥٠٥/٣

(١٦٥) حاشية الصبان ٣٢/١

(١٦٦) الكتاب ٢٦١/٣ وشرح أبيات سيبويه ص ٣٣١

وقول ذى الرمة :

وقفنا وقلنا إيه عن أم سالم

وما بال تكليم الديار البلاقع (١٦٧)

وقول أبى ذؤيب الهذلى :

نهيتك عن طلابك أم عمرو

بعافية وأنت إذ صحيح (١٦٨)

ففى هذه الشواهد نون العلم المحدد بوصفه بابن ، وبإضافة ابن وأم إليه ، وجاء تنوين العلم المحدد بكونه منادى ، ومنه قول الأحوص :

سلام الله يا مطر عليها

وليس عليك يا مطر السلام (١٦٩)

وقول لبيد :

يا هرم وأنت أهل عدل

إن ولد الأحوص يوما قبل (١٧٠)

وقول المهلهل :

ضربت صدرها إلى وقالت

يا عدى لقد وقتك الأواقى (١٧١)

كما جاء تنوين أسماء الإشارة فلقد حكى « هؤلاء قومك » (١٧٢) .

---

(١٦٧) شرح المفصل ٣١/٤ ، ٣٠/٩

(١٦٨) المرجع السابق ٣١/٩

(١٦٩) ضرائر الشعر ص ٢٦

(١٧٠ ، ١٧١) ضرائر الشعر ص ٢٦

(١٧٢) شرح التصريح على التوضيح ٣٧/١

- لحاق النون التنوينية للفعل .

ومن الشواهد التى تشير إلى هذه الخاصة قول جرير :

اقلى اللوم عاذل والعتابن

وقولى إن أصبت لقد اصابن(١٧٣)

وقول العجاج :

ما هاج أحزانا وشجوا قد شجن

من طلل كالا لا تحمى انهجن(١٧٤)

وقول الشاعر :

الا أيها الليل الطويل الا انجلن(١٧٥)

وقول الآخر :

داينت أروى الديون تقضين

فمطلت بعضا وادت بعضا(١٧٦)

ولحقت هذه النون الحروف والادوات أيضا ، ومن ذلك قول النابغة الذبيانى :

أفد الترحل غير أن ركابنا

لما نزل برحالنا وكأن قدن(١٧٧)

---

(١٧٣) الخصائص ٢٧/١/١ ، ٩٦/٢ ، ٩٨ وشرح المفصل ٦٤/١ ، ٢٩/٩ ، ٣٣

(١٧٤) الكتاب ٢٠٧/٤ الخصائص ١٧١/١ ، ٩٨/٢ وشرح المفصل ٦٤/١

(١٧٥) شرح المفصل ٦٤/١

(١٧٦) الخصائص ٩٦/٢ وشرح المفصل ٣٣/٩

(١٧٧) حاشية الصبان ٣١/١

وقول رؤبة :

قالت بنات العم يا سلمى وإن

كان فقيرا معدما قالت وإن(١٧٨)

وجاءوا بهذه النون التنوينية مع المضمر ، ومنه قول رؤبة :

يا أبتا علك أو عساكن(١٧٩)

- لحاق التنوين لما فيه أل :

ومن الشواهد التى تشير إلى هذه الخاصة قول العجاج :

يا صاح ما هاج الدموع الذرفن

من طلل أمسى تخال المصحفا(١٨٠)

وقول رؤبة :

أقلى اللوم عاذل والعتابن

وقولى إن أصبت لقد أصابن(١٨١)

وقوله أيضا :

وقاتم الأعماق خاوى المخترقن

مشتبه الأعلام لماع الخفقن(١٨٢)

وقول جرير :

متى كان الخيام بذى طلوح

سقيت الغيث أيتها الخيامن(١٨٣)

---

(١٧٨) المرجع السابق ٣٣/١

(١٧٩) الكتاب ٢٠٧/٤ والخصائص ٩٦/٢ وشرح المفصل ٣٣/٩

(١٨٠) الكتاب ٢٠٧/٤

(١٨١) شرح كتاب سيبويه ص ٣٥٤ وحاشية الصبان ٣١/١

(١٨٢) الخصائص ٣٢٠/٢ وشرح المفصل ٣٤/٩ وحاشية الصبان ٣٢/١

(١٨٣) شرح المفصل ٣٣/٩

والبحث يرى أن التنوين فى كل هذه الشواهد من باب واحد ، وذا نمط ومنهج موحد غير مختلف ، فهو فى كل الحالات وفى جميع المواضع ليس إلا نونا زيدت على آخر الكلمة ، لتحسين اللفظ بما تمنحه إياه وتضفى عليه من جرس صوتى خاص ، كما قد يعمل بجانب هذا على استقامة واعتدال صيغة الكلمة ، وإبرازها على وجه معتدل ومثال تقبله مثل العرب وأبنية كلامها ، كما انه كثيرا ما يلمس بدخولها تمكين المعنى وتحقيقه بما تمنحه هذه النون من فضل تثبت وطول إقامة على اللفظ ، ولذا فإنها تعد ضربا من أضرب النون المؤكدة .

فهذه النون ليست متوزعة الدلالات هذا التوزيع المروى فى كتب النحو ، فليس لهذه النون فى أصل اللغة أية تعلق بتعريف ولا بتنكير ، كما أنها ليست تلحق لإفادة التمكين ، أو للمقابلة أو للعوض أو لترك الترنم كما أن ليس هناك تنوين صرف وتنوين انشاد ، ومن ثم لحقت هذه النون الاسم المفرد ، والجمع المؤنث ، والفعل ، واسم الفعل والحرف .

فهذه المعانى التى ذكرها النحاة فيها بعد وتكلف وقوامها الاعتبار المحض ، وأنها لا تعبر ولا تمثل أو تصور الواقع اللغوى الفعلى .

ويبدو أن النحاة لما وجدوا أن العربية تملك أداة للتعريف وهو « أل » جدوا فى البحث عن أداة تعبر عن المعنى المقابل ، فكان ما اسموه « تنوين التنكير » .

ويبدو أن هذه النون كانت تلحق الكلمة على سبيل الاستحسان والإباحة والاختيار لا على سبيل الحتمية والإلزام بحيث كان للناطق الإحقية في النطق بها وزيادتها على آخر الكلمة أو تركها .

وعلى أية حال فإن العربية قد اتجهت فى مرحلتها الأخيرة إلى عدم إلحاق هذه النون بالكلمات التى ثقلت بكثرة عدد أحرفها نحو معد يكرب ، ومساجد ، ومصابيح ، وبالكلمات التى خرجت ونقلت عن بابها الأصلى إلى باب آخر ، للإشعار بأنها منقولة ، لا أنها على أصل بابها .

كما لا تلحق حمراء وصفراء ونحوهما ، لئلا يثقل آخر الكلمة بكثرة الزيادات .

ولا تلحق ما فيه أل ، لأنهم لم يريدوا إرهاق الكلمة وتثقيلها بزيادة هذه النون فى آخرها مع الزيادة الملحقة بأولها وهى « أل » .

كما لا يلحق التنوين المضاف وذلك ، لأن هذه النون تشعر باستقلال الكلمة ، وانفصالها عما بعدها صوتيا ، والإضافة تقضى بالارتباط والاتصال الصوتى والمعنوى ، فالنون بطبيعة كونها حرفا زائدا وعنصرا إضافيا توجد نوعا من الفصل بين ما أريد لهما الاتحاد والامتزاج .

كما أن المضاف والمضاف إليه بهذا الارتباط وذلك الاتصال الصوتى قد صارا كالكلمة الواحدة ، فلم يريدوا تثقيلها بزيادة هذه النون .

وكذا لا تلحق الفعل ولا الحروف والأدوات ، ولا العلم الموصوف ولا المنادى ، وجعلت اللغة تجريد هذه الأشياء من النون إلزامية ، وبذا قللت من نطاق وإطار إلحاقها ، كما حدد المجال والفلك الذى تدور فيه ، على أن ظاهرة التنوين فى حاجة إلى دراسة إحصائية واعية للكلمات التى لحقتها هذه النون فى القرآن الكريم ، ومأثور الكلام من شعر ونثر على أن يوضع فى الاعتبار المعنى الذى تدل عليه الكلمة ومدى تأثره بدخول هذه النون ، وكيف حاله لو حذفت هذه النون ، وعلى أن يوضع فى الاعتبار أيضا المقام الذى قيلت فيه .

- إلحاق علامة التثنية وعلامة الجمع بالفعل وهو مقدم والفاعل بعده اسماه ظاهرا مثنى أو جمعا ، وكان هذا يجرى فى الكلام بصفة مطـــردة .

وبقيت هذه الخاصة فى السنة بعض العرب منهم قبيلة طيىء وأزد شنوءة(١٨٤) فلقد حكى عنهم قولهم « أكلونى البراغيث »(١٨٥) و « ضربونى قومك » و « ضربانى أخواك »(١٨٦ و « قاما أخواك » و « قاموا إخوتك »(١٨٧ و « أعمدتاه رجلاه »(١٨٨) أى صيرتاه عميدا والآية الكريمة « وأسروا النجوى الذين ظلموا »(١٨٩) قد جاءت على هذا(١٩٠) .

قال السهيلى « ألفيت فى كتب الحديث المروية الصحاح ما يدل على كثرة هذه اللغة وجودتها نحو ما جاء فى قول وائل بن حجر فى سجود النبى ﷺ « وقعتا ركبتاه قبل أن تقع كفاه » ... ونحو « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل »(١٩١) .

وذكر ابن يعيش أن هذه اللغة كثيرة فى كلام العرب وأشعارهم(١٩٢) .

---

(١٨٤) انظر شرح المفصل ، لابن يعيش ٨٨/٣) هامش)
(١٨٥) راجع الكتاب ٤٠/٢ وشرح المفصل ٨٧/٣
(١٨٦) الكتاب ٤٠/٢ ، ٨٧/٣ ، ٨٩
(١٨٧) انظر الخصائص ١٩٤/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ٨٧/٣ ، ٨٩
(١٨٨) اللسان) عمد)
(١٨٩) سورة الأنبياء آية ٣
(١٩٠) الكتاب ٢٣٦/١
(١٩١) شرح المفصل لابن يعيش ٨٨/٣ (هامش)
(١٩٢) انظر شرح المفصل ٨٧/٣

وعلى هذا جاء قول أمية بن الصلت :

يلومونني في اشـــتراء النخيـــــل

قومـي فكلهـــم يعـــذل(١٩٣)

وقول الشـاعر :

ألفيتـا عينـــاك عنـــد القفـــــا

أولـــى لك ذا واعيـــــه(١٩٤)

ونظير إلحاق علامة التثنية والجمع إلحاق نون جماعة المؤنث كما فيما حكى من قولهم « قمن الهندات »(١٩٥) .

وعلى هذا جاء قول الفرزدق في هجاء عمرو بن عفراء الضبي :

فلو كنت ضبيـا صفحت ولو ســـرت

على قدمـــي حنـــــاته وعقـــاربه

ولـكن ديـا في أبـــوه وأمـــــــه

بحـوران يعصرن السليط أقاربه(١٩٦)

وقول الشاعر :

قلن الجـواري ما ذهبت مذهبـــــا

وعبنني ولـــم أكـــن معيبـــا(١٩٧)

وهذه الشواهد مما يعضـد القول بأن علامة التثنية وعلامة الجمـع

---

(١٩٣) شرح المفصل ٨٧/٣ ، ٧/٧

(١٩٤) شرح المفصل ٨٨/٣

(١٩٥) المرجع السابق ٨٨/٣ ، ٧/٧

(١٩٦) انظـر الكتـاب ٤٠/٢ والخصـائص ١٩٤/٢ وشرح المفصـل ٨٩/٣ ، ٧/٧

(١٩٧) الخصـائص ١٩٤/٢

لم تكن فى المراحل الأولى للغة العربية أكثر من كونها علامات دالة على التثنية أو الجمع ولم تكن تدل على الإعراب ولا على الفاعلية ، إذ الاسم الظاهر فى هذه الشواهد هو الفاعل .

واتجهت العربية إلى تجريد الفعل من علامة التثنية ومن علامة الجمع ومن النون الدالة على جماعة المؤنث متى تلا الفعل الفاعل اسما ظاهرا .

* * *

مصادر البحث ومراجعه

١ - **أبحاث فى اللغة العربية** - للدكتور داود عبده - بيروت ١٩٧٣ م .

٢ - **إحياء النحو** - للأستاذ إبراهيم مصطفى - القاهرة ١٩٣٧ م .

٣ - **الأصوات اللغوية** - للدكتور إبراهيم أنيس - ط الخامسة - القاهرة ١٩٧٩ م .

٤ - **الايضاح فى شرح المفصل** - لابن الحاجب - تحقيق وتقديم الدكتور موسى بناى العليلى - بغداد (بلا تاريخ) .

٥ - **الايضاح فى علل النحو** - لأبى القاسم الزجاجى - تحقيق الدكتور مازن المبارك ، ط الرابعة - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٦ - **البحر المحيط** - لأبى حيان الأندلسى .

٧ - **بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى** - (بحث) للدكتور أنوليتمان - مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٤٨ م .

٨ - **التطور اللغوى** - مظاهره وعلله وقوانينه ، للدكتور رمضان عبد التواب ، ط الأولى - القاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م .

٩ - **التطور النحوى للغة العربية** - لبرجشتراسر - أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب - ط القاهرة ١٤٠٢ = ١٩٨٢ م .

١٠ - **حاشية الصبان** - على شرح الأشمونى على الفيه ابن مالك - القاهرة (بلا تاريخ) .

١١ - **الخصائص** - لابن جنى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار - ط الثانية بيروت ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .

١٢ - **دروس فى علم اصوات العربية** - لجان كانتينيو - ترجمة الأستاذ صالح القرماوى - تونس ١٩٦٧ م .

١٣ - **الذوق اللغوى عند ابن جنى** - (بحث) للدكتور شعبان عبد العظيم عبد الرحمن حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة جامعة الأزهر - العدد الثانى ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

١٤ - **سر صناعة الإعراب** - لابن جنى - تحقيق الأساتذة - مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وابراهيم مصطفى وعبد الله أمين - ط الأولى - القاهرة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م .

١٥ - شرح أبيات سيبويه ، لأبى جعفر النحاس - تحقيق وتعليق الدكتور وهبه متولى عمر سالمة - ط الأولى ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

١٦ - **شرح المفصل** - لابن يعيش إدارة الطباعة المنيريه - القاهرة (بلا تاريخ) .

١٧ - **ضرائر الشعر** - لابن عصفور الأشبيلى - تحقيق السيد ابراهيم محمد - بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

١٨ - **العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد** - لهنرى فليش - تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ط الأولى - بيروت ١٩٦٦ م .

١٩ - **علم الصوتيات** - للدكتور عبد الله ربيع محمود والدكتور عبد العزيز علام ، ط القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٠ - **الفصحى ولهجاتها** - دراسة تاريخية مقارنة ، للدكتور عبد الفتاح البركاوى ، ط الأولى - القاهرة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م .

٢١ - **فقه اللغات السامية** - لبروكلمان - ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ط الرياض ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .

٢٢ - فقه اللغة المقارن - للدكتور ابراهيم السامرائى - بيروت ١٩٦٨ م .

٢٣ - الكتاب (= كتاب سيبويه) - تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون - ط الثانية - القاهرة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

٢٤ - كتاب المقتضب - للمبرد - تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمه - ط الثانية ، القاهرة ١٣٩٩ هـ .

٢٥ - من أسرار اللغة - للدكتور ابراهيم انيس ، ط السادسة - القاهرة ١٩٧٨ م .

٢٦ - المنصف (= شرح ابن جنى لكتاب التصريف لأبى عثمان المازنى) - تحقيق الأستاذين ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين - ط اولى ، القاهرة ١٩٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

محتـويات العـدد

التوطين التاريخى للإرهاصات النبوية فى سيرة إبن هشام ١ - ١٦
للأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الفيومى
عميد الكلية السـابق ورئيس قسم التفسـير
وعلوم القـرآن

المفسرون بين الاعتذار عنهـم وضرورة تنقية كتبهـم من ١٧ - ٦٨
الاسرائيليات
للدكتور / سليمان صالح القرعاوى
أستاذ القرآن وعلوم المساعد بقسم الدراسات
الاسلامية بكلية التربية جامعة الملك فيصل

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين الواقـع والتطبيق ٦٩ - ١٠٨
للدكتور / نشات عبد الجواد ضيف
استاذ العقيدة المساعد بالكلية

طرق التحمل والأداة عند أهل الحديث ... ... ١٠٩ - ١٥٦
للدكتور / ابراهيم محمد قنديل
أستاذ الحديث المساعد وعلومه بالكلية

أبو الفرج بن الجوزى ومنهجه فى التفسير ... ... ١٥٧ - ١٩٦
للدكتور / على حسن سليمان
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية

قطوف من الأمثال النبوية فى السنة وأثرها على المسلمين ١٩٧ - ٢٤٦
للدكتور / علام محمدين علام
مدرس الحديث وعلومه بالكلية

الانسـان فى الاسـلام ... ... ٢٤٧ - ٢٨٦
المستشار الدكتور / يوسف محمد صبح
الاستاذ المساعد بكليـة الشريعـة والقـانون
بجامعة الأزهر (بغـزة)

بحـوث فى قسـم الشريعة الإسـلامية

قضاء القاضى بعلمه فى التشريع الإسلامى ... ... ٢٨٧ - ٣١٨
للدكتور / عبد الله اسماعيل المنير
مدرس الفقه بالكلية

بحـوث فى اللغة العربية وآدابها

أثر الإعراب فى توجيه المعنى ... ... ٣١٨ - ٣٤٨
للدكتور / محمد أحمد سحلول
الاستاذ المساعد بالكلية

دراسة للشواهد النحوية فى شعر (النابغة الجعدى) ... ٣٤٩ - ٤١٢
للدكتور / محمد حسن عثمان
مدرس اللغويات بالكلية

التقارض بين المفرد والجمع (دراسة نحوية تحيلية) ... ٤١٣ - ٤٤٦
للدكتور / جـاد مخلوف جـاد
المدرس بالكلية

قضية الاعمار القرآنى ونشأة علم المعانى ... ... ٤٤٧ - ٤٩٤
للدكتور / هلال عطا الله عثمـان
مدرس البلاغة والنقد بالكلية

غـذاء الكاتـب ... ... ٤٩٥ - ٥١٨

للدكتور / رزق مرسى أبو العباس على

الاستاذ المساعد بالكلية

دور السـياق فى الدلالة على معنى الألفاظ ... ... ٥١٩ - ٥٣٤

للدكتور / عبد الحليم محمد عبد الحليم

أستاذ أصول اللغة المساعد بالكلية

الألفاظ الشاذة فى اللغة والنحو دراسة وتبويب ... ... ٥٣٥ -

للدكتور / أحمد عبد التواب الفيومى

الاستاذ المساعد بكلية اللغـة العربية جامعة الأزهر - القاهرة

رقم الايداع ٦١٩٤ / فبراير ١٩٩٣

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٠٦٧٢٤